الكاثوليكية وعن سيدي الحبر الاعظم وعن الكنيسة المنتشرة في سائر العمور اشكركم الشكر العميم . فانكم في هذا اليوم خوّلتم الكنيسة نصراً باهراً »

والحقّ يقال انّ هذا التظاهر جزاء ثمين لاتعاب القديس فرنسيس كسفاريوس في رسالته الى اليابان كما انّهُ مفتتح آمال جديدة لانتشار الكنيسة الكاثوليكيّة في هذه الدولة الرشيدة

النهضة الادبيّة في طرابلس

بقلم الاديب جرجي افندي يني ارسلها الى مدير مجلة المشرق

اكتب اليك ليها السيد الفاضل عن نهضة بلدتنا طرابلس كتابة استمدُّها من مصدرين : احدهما سماعيّ من الشيوخ الذين عرفتهم في صباي وثانيهما ما شاهدتهُ بذاتي على مدًى يزيد عن نصف قرن . وكلا المصدرين يفتح للاستنتاج باباً

كانت الأُمّيّة من قبل منتصف القرن التاسع عشر متفشية في طرابلس ومع ذلك لم تخلُ من الشبان الاذكياء الطالبين للعلم . فالمسلمون كانوا يقرأون في حلقات مشائخهم والنصارى في غُرَف قريبة من الكنائس . بيد أن ما كانوا يقرأونهُ في تلك الكتاتيب لم يكن شيئاً خطيراً . فالمسيحيُّون يقتصرون على تعلم القراءة والكتابة . والبارع منهم مَنْ نشأ خطُّهُ جميلاً ولهُ قدرة على الانشاء بلغتهِ العاميّة وتراكيبها الركيكة وانْ الملم باربع قواعد الحساب . امّا المسلمون فان مدار علمهم كان القرآن وضبط قراءته والتفقّه من قرأ شيئاً من التفسير والحديث والفقه والنحو والصرف . ومن برع منهم توسّع في الطلب وربّما رحل في التماسهِ . ولهذا لا نجد سلسلة المتأدبين قد انقطعت من المسلمين فبرز منهم فريق من العلماء والشعراء ومنهم من صنّف بعض التآليف

امّا النصارى فكانوا كتّاباً ولكن ليس بالمعنى الذي نفهمهُ الآن . فيدعون كتّاباً الذين كانوا يكتبون خطّاً جميلاً ويرسمون بهِ اقوالهم الركيكة على النهج العامي

الذي ألِفَتهُ الكتابات الرسمية . ولا يكاد سوادهم يعرف شيئاً من اصول العربية وقواعدها . ومع هذا الضعف في جهازهم الادبي كان الاذكياء النابهون منهم يخدمون الحكومة كتّاباً ومُحاسبين فيرتقون . اعتبرنا ذلك باهتلاء آل نوفل وغريب وصدقه . وعندي مجموعة رسائل تبادلها بعض كبراء المسيحيين منذ مئة سنة تقريباً وفيها امثلة ما مرّ ذكرهُ

وفي زمن الحكم المصري من سنة ١٨٣٢ الى ١٨٤٠ جهَرت البعثات الافرنجية باعمالها واستروح النصارى ان لهم وجوداً وبدأ التناحل يحمونهم . والتصق بالاجانب نفر من المسيحيين فجعلوا يتعلّمون منهم او مِمَّن اخذ عنهم . ولم يكن التعلّم قاصراً على قراءة العربية وكتابتها بل علّم الاباء الفرنسيسيون اللغة الايطالية فانتشرت . واني لَأذكر ولا انسى اني كنتُ منذ الحداثة اسمع ابي يتحدث بالايطالية مع كثيرين من معاصريهِ . وتكرر ذلك على سمعي حتى قويتُ على فهم اكثر عباراتها قبل ان قرأت شيئاً من أحرفها . وجملة القول ان كثيرين من متعلمي تلك الآونة اخذوا الايطالية عن الرهبان . وكان المرحومان اسكندر وتيدور كاتسفليس يُجيدانها . ولاسيما المرحوم تيدور فقد كان قنصلاً للنمسة وإسبانية فاكتسب من المراس على العمل براعةً في كتابة تلك اللغة

وفي خلال ذلك وقع للادب حادثان نفعاهُ احدهما ان جاء المرسلون الاميركان فعلّموا الانكليزية بعضَ الشبان ومن جملتهم المرحومان اسكندر كاتسفليس ونسيم خلاط . وثانيهما ان سكن طرابلس المرحوم فرنسوا دياب الذي خدم بعد ذلك في متصرفية لبنان وعلّم اللغة الافرنسية كثيرين من الشبان وفي صدرهم آلَ كاتسفليس

وقولي هذا لا يراد به ان الطرابلسيين اخذوا العلم منذ يومئذٍ . ولكني ارى انهم تنبّهوا للطلب وتهافتوا على تعلم اللغات . واذ قام وهبه عبود يعلم الفرنساوية في جملة لغات علّمها ولم يحسنها ، ظهر تهافت النصارى على طلب الفرنساوية

اما المسلمون فظلّوا على نهجهم المذكور ولكن تيسَّر للنابهين من الطلبة ان يتوسّعوا وبتسهيل السفر جعلوا يهبطون مصراً . فطلبَ بعضهم الطب وكان المشهور فيهم مصطفى الحكيم . واشهر منهم قصّاد الازهر من آل رافعي ومترجمي وظلّ

بعضهم في مصر وما برحت اعقابهم فيها وعاد اخرون

ولما نشأت مدارس الذكور والاناث للراهبات والرهبان وللاميركان تحفزت النهضة الادبية للوثوب . ولم يكن بين طلبة النصارى حتى ذلك الحين من تقرب للطلب الا نفر لا نعرف منهم غير المرحومين سليم وحبيب نوفل اللذين ادخلهما ابوهما عبدالله بك نوفل المشهور مدرسة عين طورا فخرجا كوكبين ساطعين

اما الكتاتيب التي كانت لطائفة الروم فانها لضعف عدتها اقتصرت على قتل الأمية بين عامة الطائفة من غير ان تحدث بعد ذلك القتل حياة . لانها هي ذاتها كانت تحتاج الى الحياة

لا جرم ان تلك الكتاتيب الضئيلة هي التي علمت ابناءها القراءة البسيطة والكتابة الركيكة . فكانت كثقاب شع نوره ضعيفاً في ظلام داجٍ ومن الناس من يقدح من الثقاب نارًا يمشي اليها ومنهم من يُطفئهُ وشيكاً فيذهب ضياعاً . فالنابهون استخرجوا من البساطة والركاكة براعة ومن الضعف قوة . فمنهم من قرأ العربية وتأدب وراح يلتمس المعرفة . وما مرت السنون العشر الاولى بعد منتصف القرن حتى جعل اولئك المتأدبون يعقدون اجتماعات ادبية ويتساجلون ويكتبون ويخطبون وينظمون الشعر . فاشتهر منهم اسكندر كاتفليس وسليم دي نوفل (قبل ان يرحل الى بطرسبرج ويسكنها) ونسيم خلاط ويعقوب غريب والياس نوفل ونقولا نوفل وجبرائيل صدقه والياس صدقه ونقولا نحاس وغيرهم

فالنصارى حتى يومئذٍ كانوا اسبق من المسلمين الى النهوض . لان اولئك ظلوا على اساليبهم القديمة لا يريدون عنها بديلاً ولكن بعض النابهين منهم ارادوا الاندفاع الى تعلم الاساليب التي تُدار بها اعمال الحكومة فحُبب اليهم دخول المدارس الرسمية التي انشأها الترك ليتعلموا منها التركية فجاءها بعضهم واقتبسوا الاساليب فاخذوا المناصب التي كانت للنصارى في الحكومة وصار فوزهم بها سبباً لازدحام الطلبة منهم في مدارس الحكومة وربما ادّى الى التحفز للوثوب

اما النصارى فظلوا مكتفين بكتاتيب الرهبان والاميركان يحسبون ما تُعلم كافياً وافياً بدليل اني لما ذهبت في خريف سنة ١٨٦٨ الى المدرسة الوطنية ببيروت صحبني اليها المرحوم اسعد الحداد ليطلب الطب في الكلية الاميركية (وكانت

المدرستان يومئذٍ متجاورتين) . فلم نجد مَن ابناء طرابلس من سبقنا الّا المرحوم الدكتور سليم دياب وقد سبقنا لطلاب الطب . ولكن في السنة التالية اقتدى بنا كثيرون من اهل الوطن ومنذ يومئذٍ غدت المدارس العالية لا تخلو من الطرابلسيين(١ . ولمّا رجعوا الى بلدتهم ازداد تنبّه الخواطر وغدا انتشار الكتب والمجلات والجرائد رافعاً لمستوى الافكار

وفي سنة ١٨٧٥ نشأت جمعية ادبية سُمّيت بالطرابلسية فترأسها المرحوم اسكندر كاتسفليس واجتمع الى عضويتها كلّ نبيه وفي جملتهم العالم الكبير المرحوم نوفل نوفل وكثر عدد اعضائها المراسلين وكان في جملتهم العلامة المرحوم ابرهيم اليازجي . وقد قرّظها بتاريخ بديع . ولتلك الجمعية فضل غزير وعمل عظيم اذ كانت تُتلى فيها الخطب وتقام المباحث . فتنقل مواضيعها الى مجالس الناس ويتذاكرونها . فحمد النابهون سعي الجمعية وحسبوها النهضة او العامل الاكبر في إحداثها . ولكن جاءت الحرب الروسية التركية فاثمتها خوفاً من البطش باعضائها لان رئيسها كان قنصلاً لروسيّة وكان ذلك النوم ابدياً

ثم انشأ الروم الارثوذكس مدرسة كفتين فدخلها التلامذة افواجاً وفيهم المسلمون . وكذلك نشأت مدرسة الفرير وارتقت سائر المدارس بتعاليمها وتوسّعها واساليبها

وفي العشرة الاخيرة من القرن الماضي انشأ المتأدبون جمعية أسموها المنتدى الادبي وكان من اعضائه كثيرون من الادباء كالمرحومين اخي صموئل وفرح انطون الذي اشتهر بمجلته الجامعة ومؤلفاته وكالطبيبين خليل الحائك وعفيف عفيف . واما من الاحياء فكان اسعد افندي باسيلي التاجر المثري بالاسكندرية وهو من اهل العلم والادب ونسيم افندي صيبعه نزيل مصر الان والطبيبان ميخائل ماريا وديمتري سيوفي وغيرهم من البارعين . وما زالت خطب النادي ومباحثهُ على النهج القويم واخذ يقيم جلسة عامة في كل شهر حتى قضت السياسة بقفله لياذاً بالسكون والابتعاد عن مرامي السهام

١) وقد تخرّج في ذلك الوقت بعض الطرابلسيين النصارى في مدرسة غزير للآباء البسوعيين وقد عرفنا منهم الشيخان سعيد وبربر الخازن واسعد زكّور ل . ش

وانشأ المرحوم محمد بك البحيري مطبعة البلاغة وجعل ينشر منها جريدة طرابلس محرّرة بقلم العلامة المرحوم حسين الجسر والد علامتنا الشيخ محمد رئيس الشيوخ. وبعد ان أعلن الدستور العثماني سنة ١٩٠٨ انشأنا مطبعة الحضارة ومجلة المباحث وما لبثت ان نشأت مطابع اخرى بلغت خمساً. واما الجرائد فكثرت ولكنها اوقفها الحرب ثم عاد بعضها وتجدّد غيرها والذائعُ منها الان الحوادث لصاحبها لطف الله افندي خلاط ومحررها الشاعر سابا افندي زريق. والرقيب يحررها الاديب يوسف افندي اسكندر نصر. وصدى الشعب يحررها الامير اسعد الايوبي. والصباح لصاحبها الاستاذ سليم افندي غطوس. والعصر الجديد والتمدن الاسلامي والشفق وامجد هوز

وجملة ما رأينا ان لمدرسة الفرير وللمدرستين الاميركانية والثانوية (التي كانت تدعى السلطانية) فضلاً في نشر العلم. ولاسيما بين المسلمين لانهم تهافتوا على الطلب والسفر للتحصيل. ولم يكتفوا بقصد بيروت وجوارها في التأسي بل طرقوا ابواب الجامعات في اوروبا. فضارعوا اخوانهم النصارى بل ربما سبقوهم لانهم اكثر منهم. وفقنا الله واياهم!

تذكار السنة العاشرة للثورة الروسيّة

(١٩١٧ــ١٩٢٧)

رواية شاهد عيان : للاب فردينان توتل اليسوعي

ان الشاهد العيان الذي اخذتُ عنهُ هذه المذكرات هو رجل ذو حسب ونسب اسمهُ فلاديمير دلكتورسكي (Wladimir Delektorsky) الحائز شهادة المندسة الزراعية. كان على ايام الحكومة الامبراطورية مفوّضاً في الادارة الزراعية في مجلس مقاطعة خركوف في روسية الجنوبية. ثم ترأس على ايام دنيكين اللجنة التي عُهد اليها امر بيع الاراضي في مقاطعة الاسكندرية في ولاية خرسون فشهد كثيراً من حوادث الثورة الروسية وهجر اخيراً بلاده هرباً من تسلّط البلشفيك وقد قتلوا ابوَيه واحتلّوا ديارهُ ثمَّ لجأ الى سورية وتعرف فيها بآل ادّه الكرام فعهدوا اليهِ نظارة اراضيهم الزراعية في البقاع الغربي حيث التقيت بهِ فقصَّ عليَّ قصّتهُ كما اسردُها باذنه على صفحات المشرق. ويناسب نشرها اليوم حلول السنة العاشرة للثورة الروسية

ف. ت